المبحث الثاني
حقائق لغوية

أولاً: مفاهيم أساسية:

١- مصطلح "اللسان":

هذا هو المصطلح الذى اصطفاه الكتاب العزيز، وهو التعبير الأمثل والأدق؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾[٥]. كما قال ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾[٦] وسار القرآن على هذا النهج لا يعدوه.

٢- مصطلح اللغة:

أما مصطلح "اللغة" فيطلق على لغات القبائل كأن يقال: لغة قريش، أو لغة تميم، أو لغة أسد، ونحو هذا.

٣- مصطلح "لهجة":

ومصطلح لهجة استحدث في القرون الأولى بعد الهجرة تعبيراً عن لغات القبائل، ولم يكن لها وجود بهذا المعنى المعاصر قبل القرن الثالث الهجرى.

---

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٦) سورة الروم: الآية ٢٢.

وقد ظهر اللسان العربي قبل الإسلام في صورة لغات شتى للقبائل العربية التى كانت تضمها شبه الجزيرة العربية، لكل لغة ألفاظها التى تختلف في بعضها عن لغات القبائل الأخرى، ولها طرائقها في التعبير، ولها عيوبها الصوتية أيضاً، وتختلف بعض القبائل عن بعض في مدى إمكانات الفصاحة في لسانها وكانت قريش أفصح لغات القبائل جميعاً، وهذا أمر قدره رب العالمين وهيأ له أسبابه(٧).

ثانياً: هل هناك تفاضل بين اللغات؟

لابد من التسليم بانتفاء تفاضل اللغات:

ومن أدق ما جاء في هذا الباب قول ابن حزم منذ عشرة قرون(٨): «وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات. وهذا لا معنى له لأن وجوه الفضل معروفة، وإنما هى بعمل أو اختصاص ولا عمل للغة، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة وقد قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ وقال تعالى: ﴿فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون﴾ فأخبر تعالى أنه لم ينزل القرآن بلغة العرب إلا ليفهم ذلك قومه عليه السلام لا لغير ذلك. وقد أخطأ في ذلك "جالنيوس" فقال: إن لغة اليونانيين أفضل اللغات لأن سائر اللغات إنما هى تشبه إما نباح الكلاب أو نقيق الضفادع.

---

(٧) د. السيد رزق الطويل، اللسان العربى والإسلام: معاً في معركة المواجهة، رابطة العالم الإسلامي – سلسلة دعوة الحق، العدد (٦٠) ربيع الأول ١٤٠٧هـ – نوفمبر ١٩٨٦م، ص ١٢ – ١٣.

(٨) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام بمصر بدون تاريخ جـ ١ ، ص ٣٢ نقلاً من د. عبد السلام المسدى، مرجع سابق، ص ١٦.

قال علىّ: وهذا جهل شديد؛ لأن كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهى عنده في النصاب الذى ذكر جالينوس ولا فرق.

وقد قال قوم: العربية أفضل اللغات؛ لأنه بها نزل كلام الله تعالى.

وقال علىّ: وهذا لا معنى له، لأن الله عز وجل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه. وقال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾. وقال تعالى: ﴿وإنه لفى زبر الأولين﴾، فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه، وقد أنزل التوارة والأنجيل، والزبور، وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية، وأنزل الصحف على إبراهيم عليه السلام بالسريانية، فتساوت اللغات في هذا تساوياً واحداً».

وتتميز اللغة العربية بعدة مزايا أهمها:

١- إن اللغة العربية الفصيحة هى لغة القرآن الكريم، ولذلك ظل اتصال العرب باللغة الفصحى اتصالاً وثيقاً.

٢- إنها لغة متصلة عبر مراحل الزمن المتعاقبة، وهى أداة وصل حقيقية ما بين الإنسان المعاصر وما بين تراث أمته عبر القرون الماضية.

ثالثاً: القدرة والقصور في توليد المصطلح في أهل اللغة لا في اللغة ذاتها:

إن مدار الحديث عن قدرة أى لسان من الألسنة على صياغة المصطلح العلمى أو قصوره عنها إنما هو من القضايا الزائفة لأنه إشكال غير ذى موضوع فما من لغة من لغات البشر إلا وهى في ذاتها مهيأة بالطبع والجبلة

لاستيعاب الصوغ الدلالى الجديد عن طريق التوليد الاصطلاحى المستحدث وإنما القدرة أو القصور في أهل اللغة لا في اللغة ذاتها[٩].

وموقف العرب اليوم من لغتهم وموقف أجدادهم منها يعزى إلى الوزن الحضارى الذى كان للأمة العربية وافتقدناه اليوم، وقد كان من فضل الغلبة التاريخية أن العرب قد تعاملوا في الماضى مع القضية اللغوية وما إليها من معضلات المصطلح في العلوم والمعارف من موقع القوة فسلم موقفهم من كل العقد النفسية والفكرية والحضارية وأخذوا موضوع المصطلح في حجمه حتى اطرد بينهم جميعاً مبدأ أن "لا مشاحة في الألفاظ"[١٠].

ورغم تقدم المعرفة اللغوية في العصر الحديث يظل كثير من أهل العلم يجادلون في أمر اللغة القومية وصلاحها للعلم مصرين على وهمهم القائل بأن "للعلم لغته" بينما سبق لرواد الفكر العربى أن انتبهوا إلى حقيقة تفاعل اللغة بالواقع الحضارى الذى يكون عليه أهلها[١١].

رابعاً: لماذا التعريب؟

والدكتور عبد الحافظ حلمى – رئيس الجمعية المصرية لتعريب العلوم – وهو أبرز المؤيدين لتعريب العلوم. يرى أن تلقى العلوم في المرحلة الجامعية الأولى ليس مبعثه نعره قومية، أو اعتزازاً باللغة العربية وغيره عليها؛ وإنما هو استجابه لضرورات ملزمة وتحقيق فوائد مؤكدة.

---

(٩) د. عبد السلام المسدى، مرجع سابق ص ٢٣.

(١٠) المرجع السابق، ص ٢٥ – ٢٦.

(١١) انظر وقارن: ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث، ص ٣٧٩ – ٣٨٠، وانظر أيضاً ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، جـ ١ ، ص ٣١.

أ - ضرورات ملزمة:

١- عدم تمكن الطلاب من اللغة الإنجليزية يضيع كثيراً من جهد الأساتذة والطلاب ووقتهم، ويلجئ الطلاب إلى الاستظهار دون فهم حقيقى واستيعاب عميق، ويهدد التعليم الجامعى بالسطحية والضحالة، وهو قيد على الطالب في التفكير والتعبير والنقاش.

٢- اللغة هى قوام فكر الإنسان ووجدانه، وصياغة قيمه وعقيدته. واللغة (الأجنبية) تضفى هذا الوصف (الأجنبى) على العلوم نفسها، ومن ثم يكون العلم والأسلوب العلمى جزءاً عضوياً من كيان المتعلم الفكرى والسلوكى.

ب- منافع مؤكدة:

١- التجربة أثبتت أن الطلاب الذين يتلقون العلم بالعربية فهمهم له أتم وأعمق، في وقت أقصر وبجهد أقل.

٢- من (تعلم) بالعربية، يسهل عليه أن (يعمل) بالعربية وأن (يعلم) بالعربية، وأن يقوم بدوره في نشر الثقافة العلمية.

٣- تعريب تدريس العلوم في الجامعة سوف يزيل الحواجز بين طبقة المتخصصين الجامعيين ومن يليهم من الفنيين والمساعدين.

٤- تعريب تدريس العلوم يمكن المواطنين - على اختلاف ثقافاتهم - من أن يعيشوا عصرهم (عصر العلم)، ويحسنوا فهم قضاياه وخطط تنمية

مجتمعه ويسهموا في إزالة الفجوة بين (أهل الثقافتين)، فيزيد من ترابط الأمة[١٢].

والتعريب يجب أن يصاحب بإتقان اللغات الآخرى، فالتعريب مثلاً يستوجب أيضاً استيعاب العلوم وتمثلها في لغاتها الأصلية مثلاً وإلا استعصت ترجمتها[١٣].

خامساً: الخبرة التاريخية للتعريب في الأقطار العربية تبرز لنا نموذجين: النموذج المشرقى والنموذج المغربى:

١- تميز النموذج المشرقى للتعريب بالإطارات الهيكلية الفنية الواضحة المتمثلة في مؤسسات المجامع اللغوية العربية «في القاهرة ودمشق وبغداد وعمان».

كما اتسم على الدوام بالسمة اللفظية الفنية وبالصبغة التخصصية الدقيقة والمفهوم المشرقى للتعريب يتكون من جانبين أساسيين:

الأول: هو اشتقاق الترجمة العربية واستحداثها للفظ الفنى والثقافى والعلمى الأجنبى، بخاصة من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية أساساً.

أما الثانى: فهو إدخال اللفظ الأجنبى بذاته وبمادته إلى اللغة العربية ويصطلح على تعميم استعماله ضمن مفردات اللغة العربية.

---

(١٢) د. عبد الحافظ حلمى، قضية تعريب التعليم الجامعى: مناقشة موضوعية هادئة، الندوة الأولى حول: تعريب التعليم الهندسي - جامعة الأزهر - القاهرة ٥ - ٦ أبريل ١٩٩٥م، ص ١٥.

(١٣) د. نور الدين النبقر، فلسفة اللغة واللسانيات، (تونس، مؤسسة أو وحدان للطبع والنشر والتوزيع).

١- أما المفهوم المغربى للتعريب فهو النموذج الأمثل لشمول عملية التعريب وعموميتها لجميع نواحى النشاط الإنسانى داخل المجتمع المعين في القطر العربى المغربى.

والنموذج المشرقى للتعريب عملى اصطلاحى لفظى بينما يتصف النموذج المغربى للتعريب بالمنهجية والرؤية الشاملة، إلا أن التفرقة بين النموذجين ليست كاملة؛ ذلك أن التعريب المغربى الشامل في أهدافه يؤسس ذاته بشرياً وفنياً ولفظياً على التعريب المشرقى اللغوى الصرف[١٤].

(١٤) د. نازلى معوض أحمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربى، (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ط ١ - يوليو ١٩٨٦م) - ص ٤٢.

وانظر أيضاً، د. محمد المنجى الصيادى، «التعريب في الوطن العربى» - ندوة «التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية»، (مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ١٩٨٢م) ص ٣٣.